وكذلك كان مسلك قريش مع وفد أهل نجران[669]. تسامع النجرانيون بذلك المبعوث بمكة للبشر كافّة برسالة ا، فشدّ إليه نفر منهم الرحال، عسى إن اجتمعوا به أن يعلموا من أمره ما لم يوفّ ِه لهم نَقَلة الأخبار، ولا يميّز بين صحيحه وزيفه الرحّ َل الظاعنون بين الجنوب والشمال، من التجّار وعُرض الناس[670]. كانوا جماعة من اللاهوتيّين، فيهم قساوسة، وفيهم نُسّ َاك، وفيهم رُهبان، وكانوا من الدارسين للنصرانية، المؤمنين بالإنجيل المنزل على المسيح. ونشطوا إلى بلدة محمد، ليقفوا منه على حقيقة رسالته التي قال أُناس: إنّها من السماء. ونشطت قريش إليهم قبل أن يبلغوه، تسوق إليهم من الفري والأكاذيب مثلما يؤزّها[671] إبليس أزّا ً بسوق القرابين للأصنام، رسمته لهم في أبشع هيئة، ووضعته في أقبح إطار، وخوّفتهم أن يقابلوه، وحذّرتهم حديثه ... أليس سحرا ً يؤثر، يفرّق الناس من الناس، ويبدّلهم نفوسا ً بنفوس؟ وكان على رأس الفئة المختلقة الظالمة أبو جهل بن هشام. لكنّ الوفد صمد لما جاء فيه، ذهب رجاله فاجتمعوا بالرسول، وألقوا إليه الأسماع شغوفين، لا ملالة ولا سأم. فيا ويح السفهاء ما لهم يأفكون! ليس هذا بقول بَشَر، ولا هو نفث ساحر، ولا نظم شاعر، ولا هَدر[672] سجّاع ولا هذيان مجنون.